اندلاع الثورة الجزائرية بعمالة وهران في الفاتح نوفمبر 1954 الصعوبات و التحديات

أ. بليل محمد

بجامعة ابن خلدون – تيارت

الملخص:

إن تطرقنا لهذا الموضوع الحساس و الدقيق الخاص باندلاع ثورة التحرير بالمنطقة الخامسة تكمن أهميته في القراءة السياسية و النفسية لهؤلاء الأبطال المجاهدين الذين تحركوا من معتقداتهم الخاصة، بتحرير الوطن و الاستشهاد في سبيل الله حيث جمعوا بين المعتقدات الوطنية والدينية متشبعين بثقافة التحرر . جعلتهم يفضلون مصلحة الوطن فوق مصالحهم الذاتية، مبرهنين على عبقرية الجزائريين في الالتحاق بصفوف الثورة.

و بأن هذه الأخيرة ذات صبغة وطنية ، و ليست جهوية بدليل ترأس منطقة وهران قيادات من الشرق الجزائري.

و يدل أيضا نجاح العمليات الأولى على الطاعة و الانضباط التي كان يتمتع بها هؤلاء المجاهدون، ذلك ما ذكره أحد المجاهدين بأنه شاهد بن عبدا لمالك رمضان غاضبا و هو يخاطب أحد رفاقه المدعو 'فؤاد السبع" قائلا:" إنني من الشرق، وأتمنى أن أستشهد عندكم في الغرب" فرد عليه المجاهد السابق الذكر "أنا من الغرب بمستغانم و أتمنى الاستشهاد عندكم في الشرق "، و حسب نفس الرواية ، فلقد تحققت أمنية الشهيدين[35].

إنه الإخلاص للوطن و الوفاء للمبادئ التي تحرك من أجلها هؤلاء المجاهدون الذين تركوا ديارهم و أهاليهم، منتشرين في الجزائر العميقة، مفضلين الاستشهاد على حياة الذل والمهانة.

و نحتاج نحن اليوم، بدورنا إلى ذلك الأرشيف الحي لهؤلاء الشهداء و المجاهدين، لندون من خلاله صفحات خالدة من تاريخ ،جزائر العزة و الكرامة.

مقدمة:

لقد عرفت الجزائر أوضاعا مأسوية في شتى الميادين عقب الحرب العالمية الثانية، التي دفع فيها الجزائريون أرواحهم في سبيل تحرير فرنسا من النازية ،ولكن فرنسا لم تحاول أن تعترف بحق الشعب الجزائري في الحرية و الاستقلال، حيث عرفت الساحة الوطنية عقما سياسيا بسبب انشغال الأحزاب الجزائرية في ترتيب بيتها الداخلي، بهدف التموقع الشعبي .

وكانت أبرز تلك الأحزاب التي مثلت التيار الاستقلالي، ممثلة في حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي شهدت صراعا داخليا بين أنصار رئيس الحركة "مصالي الحاج" و المجلس الوطني للحركة (المركزيين) ، بينما ظلّت نخبة من شباب المنظمة الخاصة التي تأسست سنة 1947 تنتظر إعادة هيكلة الحزب، لكن ذلك لم يجد نفعا ، فتحرك هؤلاء الشباب من مختلف مناطق الوطن جماعيا لمباشرة الضغط على الأطراف المتصارعة ، لكن اكتشاف المنظمة الخاصة و محاولة تفكيكها ، دفع قيادة المنظمة إلى السباق مع الزمن لتفجير الثورة عبر التراب الوطني ، غير أن عمالة وهران ظلّت تفتقر للكوادر و نقص المعدات و الأسلحة و صعوبات أخرى؛ لكنها كانت مع موعد اندلاع الثورة المسلحة.

فما هي إرهاصات العمل المسلح بعمالة وهران؟ و في ما ذا تمثلت صعوبات العمل المسلح للأفواج الأولى ؟ و ما هي الإمكانات التي راهنت عليها قيادة الثورة بالعمالة؟ وكيف تجاوزت المنطقة الخامسة هذه الصعوبات ؟

1- التحضيرات الأولية لاندلاع الثورة بعمالة وهران :

إن منطقة الغرب الجزائري التي كانت تعرف إداريا بعمالة وهران ،كانت مأهولة بالسكان الأوربيين ، لأن الاستيطان وجد ضالته فيها بوجود أراضي زراعية واسعة ويد عاملة جزائرية رخيصة، حيث كانت الأوضاع العامة هادئة بالنسبة لأجهزة الأمن الاستعمارية، رغم وجود نشاط سياسي واسع للأحزاب الوطنية، و منها حركة الانتصار (م .ت.ل.د) التي نجحت في التغلغل داخل أوساط الجماهير العريضة ،منها الريفية على وجه الخصوص.

و كان لحزب حركة الانتصار و الحريات الديمقراطية نفوذ واسع بمناطق عدّة بالعمالة ، كتلمسان معقل زعيم الحزب و وهران و مستغانم و غليزان و عين تموشنت ، كما كان للفرع شبه العسكري "المنظمة الخاصة" خلايا له بالمنطقة بتمثيل قوي ، تمثل في أحد زعمائه و هو ضابط صف سابق في الجيش الفرنسي المدعو "أحمد بن بلّة"، و الذي أعدّ

الهجوم على بريد وهران يوم 04 أبريل 1949م بهدف تمويل المنظمة الخاصة بالأموال و الأسلحة[1].

لذلك فالمنطقة عرفت نشاطا سياسيا قويا لوجود مناضلين يؤمنون بالحرية و استقلال الجزائر، شاركوا كغيرهم من الجزائريين في تعميق الوعي الوطني لدى الجماهير الجزائرية ، ردا على القانون الخاص الذي أصدره البرلمان الفرنسي في 20 سبتمبر 1947م ، الذي حاول من خلاله المشرع الاستعماري أن يساوي بين الأغلبية الجزائرية بالأقلية الأوربية وتكريسه لفرنسية الجزائر، بأنها تتكون من "ثلاثة عمالات فرنسية " و أصبح للجزائر هيئتان انتخابيتان بـ 120 نائبا ،ينتخبون بالنصف، فالهيئة الانتخابية الأولى تضمّ 464000 منتخب رجالا و نساءا و 58000 جزائري يخضعون للقانون الفرنسي و النصف الآخر ضمّ 1300000 جزائري من جنس الذكور[2] .

وازدادت معاناة الجزائريين لعدم تطبيق هذا القانون، خاصة ما تعلق منها بالهوية والشخصية الجزائرية كتعليم اللغة العربية و المساواة في الحقوق السياسية و تدهور أوضاع الفلاح الجزائري، حيث أحسّت النخبة الجزائرية بخضوع السياسة الاستعمارية للمستوطنين .و أنها يئست من السلوك السياسي لفرنسا، و أن العمل السياسي الذي تمارسه عديم المفعول،

" و رأوا في هذه السياسة خطرا يهدد فكرة استقلال الجزائر من براثين الاستعمار".[3]

فخرجت مجموعة من المناضلين الثوريين المنتمين إلى المنظمة السرية تدعو الطرفين المتصارعين إلى التعقل و إعادة اللحمة إلى الحركة، لكن تمسك الأطراف المتصارعة بمواقفها نتج عنه حدوث شرخ كبير داخل الحركة الاستقلالية ،فوجد شبان المنظمة الخاصة أنفسهم أمام مصير مجهول متجهين نحو طريق مسدود؛ خاصة بعد اكتشاف بعض عناصرها في حادثة 1950م التي كادت تعصف بالفكرة الاستقلالية كلها، و هو ما اعتبر خطأ فادحا لا ينبغي تكراره [4].

في هذه الظروف الصعبة قرر قادة المنظمة التسعة في مارس 1954م عقد اجتماع بسويسرا و هم كالآتي:

- ديدوش مراد ، بن بولعيد، بن مهيدي، رابح بيطاط، بن بلّة، آيت أحمد، محمد خيضر، بلقاسم كريم بوضياف، بتأسيس منظمة ثورية أطلق عليها اللجنة الثورية للوحدة و العمل، و تمّ نقل مقرها إلى الجزائر العاصمة [5]، ليعقد اجتماع موسع بقيادة 22 مناضلا بحي المرادية (كلو سلومبيي سابقا) .

و حضر إلى جانب المجموعة ملاحظون من قيادات المناضلين عبر التراب الوطني من خلال شهادة الأخ المجاهد بلحميتي بن ذهبية ممثلا عن منطقة الظهرة بمستغانم الذي ذكر بأنه

حضر اجتماع لجنة 22 الموسعة أيام 12و13و 14 جويلية 1954م، حيث تمّ مناقشة عدّة قضايا منها الخلافات داخل الحركة و كيفية التحضير للأعمال الثورية.[6]

لأن قادة المنظمة كانوا على اطلاع بالأوضاع الداخلية المتمثلة في طبيعة السياسة الاستعمارية المبنية على القمع و تزوير الانتخابات، خاصة في عهد الحاكم العام "نيجلان" الذي سخّر أعوان الإدارة و القياد الخاضعين لها بالضغط على الجزائريين، وكذلك الظروف الدولية المؤيدة للأفكار التحررية في البلدان المستعمرة ، حيث تمّ تكليف ستة من القادة الثوريين و ثلاثة آخرين المتواجدين في الخارج بتحديد التاريخ و المكان[7] للعمليات الثورية الأولى في أكتوبر 1954م.

يدفعنا ذلك إلى التأكيد على القناعة الراسخة لدى هؤلاء القادة الأوائل لثورة نوفمبر بالعمل الثوري التحرري، وأنهم قرروا الابتعاد نهائيا عن الطرفين المتصارعين، و السير قدما نحو العمل المسلح لإرباك العدو في عقر داره. ذلك ما ورد في بيان أول نوفمبر.

أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا... أمام هذه الوضعية التي يخشى أن تصبح من المحال علاجها، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة و مصممة أن الوقت قد حان لإخراج

الحركة الوطنية من المأزق الذي وضعها فيه صراع أغلب الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الثورية...".[8]

و بالرجوع إلى عمالة وهران نجد هذه الأخيرة تعاني من انقسامات داخلية بين أنصار الزعيم "مصالي الحاج" الذي كان لأنصاره تواجد قوي في المدن الكبرى مثل تلمسان و وهران ومستغانم و سيدي بعباس و تيارت و غيرها من البلدات الأخرى... في حين أصرّ بعض أعضاء اللجنة المركزية بالوقوف إلى جانب قيادتهم عبد الرحمان كيوان ولحول حسين، و في اتجاه أخر ظلّ العديد من الشباب المتحمس، حائرا ينتظر الأوامر من قادته لمباشرة العمل الثوري.

في هذه الظروف الحساسة، قامت الجنة التحضيرية لأول نوفمبر بعمل جاد بالمنطقة بتكوين قيادة أركان مصغرة و كسب انخراط أعضاء جدد و التمويل بالأسلحة، حيث تمّ تكليف ثلاثة قادة رئيسيين و هم العربي بن مهيدي بوهران و عبدالحفيظ بوصوف بتلمسان و بن عبد المالك رمضان بمستغانم[9]، و كان لكل قائد مجموعة خاصة به من القيادات الصغرى المتمثلة في الحاج بن علي وأحمد زبانة بوهرن و سيدي بلعباس تمّ تكليف فرطاس محمد العائد من باريس بعين تموشنت، برفقة بعض المناضلين أبرزهم كويني الاخوة برجي اعمر و قدور في ناحية ويليس بحجاج و صحراوي عبد القادر

وبومهدي الزريقي وبلحميتي بن ذهيبة في كسان (سيدي علي) حاليا[10] ؛دون أن ننسى المناضلين الآخرين من الدرجة الثانية في قيادة الثورة.

و قامت قيادة الأركان بالولاية الخامسة برئاسة العربي بن مهيدي إلى تقسيم الولاية إلى خمس مناطق عسكرية من الحدود المغربية إلى دائرة الأصنام سابقا. و التحضير الجيد لخوض معركة أول نوفمبر والاستعداد الفعال لكي تكون المنطقة مع الحدث البارز وإسماع الآخرين بوجود جزائريين رافضين للاستعمار رغم قلّتهم في المنطقة نظرا لعوامل عديدة سنرجع لها لاحقا. و لكن الإيمان بنجاح العملية كان قويا كقناعة بن مهيدي في مقولته المشهورة (القوا بالثورة في الشارع سيحتضنها الشعب.)

2- العمليات الأولى لفاتح نوفمبر بعمالة وهران:

أ- طبيعتها:

سبق أن أشارنا إلى التحضيرات العامة لثورة أول نوفمبر في الجزائر من خلال العديد من الدراسات و مصادر معاصرة لتلك الفترة،بأن المنطقة الخامسة، لم تتخلف عن إطلاق الرصاصات الأولى في الفاتح نوفمبر ، بل اضطر مجاهدو هذه المنطقة في ناحية الظهرة إلى أطلاق النار يوم 31 أكتوبر 1954م على الساعة 23 و45 دقيقة ذلك ما أوردته الجرائد الاستعمارية

في الجزائر و الميتربول الصادرة يوم الثاني من نوفمبر مثل "إيكو دورون "و"ايكو دالجي" بحدوث تفجيرات إرهابية من " فيليب فيل " شرقا إلى" كسان" غربا [11].

وتم تأكيد ذلك أيضا من خلال شهادة المجاهدين الأحياء و المتوفين منهم في عدّة مناسبات إحياء ذكرى أول نوفمبر.[12]

و لقد تناولت عدّة دراسات تاريخية و جرائد وطنية حدث انطلاق العمليات الأولى بتعمق، مستشهدة بالأرشيف الحي للمجاهدين و وسائل الإعلام التابعة لجبهة التحرير الوطني من خلال البيانات و المنشورات[13].

و سنتطرق لطبيعة العمليات الأولى و أهميتها في المنطقة، من خلال التقارير الأمنية و تحليلات صحافة المعمرين و شهادة المجاهدين الأحياء، و من هذا المنطلق فالمنطقة قد عرفت تحضيرا جيدا لهذا اليوم المشهود ؛ رغم قلّة الإمكانات اللوجستيكية والبشرية، حيث لم يتجاوز عدد المجاهدين الأوائل الستين مجاهدا، لكن النشاط الدؤوب للعربي بن مهيدي في جولاته المراطونية بالاجتماع مع القيادات المحلية بوهران و بالظهرة ، أفلحت في تحديد الساعة و المكان .

فالعمليات الأولى حددت بدقة و عناية حسب الإمكانات المتاحة، و ترك العمل مفتوحا للقيادات المحلية حسب ظروف نشاطها و تحركها الميداني ؛ منها حرق مزارع المعمرين ومحطات البنزين و مهاجمة الثكنات العسكرية و مخافر الدرك الفرنسي و جمع الأسلحة ، دون المساس بالمدنيين في المرحلة الأولى .

و بهذا الشكل جاءت التوصيات الأولى لقيادة أركان المنطقة، بهدف تحقيق الصدمة لدى الإدارة الاستعمارية و إحداث المفاجأة.

و لهذه الغاية تمّ تنظيم هذه العمليات كالأتي[14]:

- تمّ تكليف مجموعة بن علي و زبانة بالاستيلاء على أسلحة ثكنة "الكمين" بوهران .
- الاستعداد لحرق محطة البنزين بواسطة المتفجرات التي كان يصنعها الشهيد "زبانة".
- و كان مقررا تنفيذ هجوم واسع على ثكنة "حمام بوحجر"
- كلف فرطاس بالعمل على إحداث انحراف خط السكة الحديدية"وهران ،عين تموشنت".
- أمّا بمنطقة الظهرة بمستغام فكلّفت عدّة مجموعات محلية بقيادة أحد قادة أركان الناحية و عضو مجموعة 22 التاريخية

،للقيام بعمليات ثورية بالقسم الشرقي لدائرة مستغانم بالبلدية المختلطة ب""كساني"(سيدي علي حليا).

و تمّ تأكيد نجاح بعض العمليات الثورية بناحية الظهرة من قبل والي عمالة وهران السيد"جين لومبار" "Lambert"الذي تلقى مكالمة هاتفية من طرف نائب الوالي لدائرة مستغانم على الساعة الواحدة و أربعين دقيقة صبيحة عيد كل القدسيين المصادف للفاتح نوفمبر بأنه تمّ وقوع الأحداث الآتية :.[15]

- حرق مزرعتين للمعمرين.
- مهاجمة مخفر درك "كساني".
- مقتل أوربي واحد

و حسب روايات المجاهدين الأحياء ،فإن العمليات الثورية كانت جدّ ناجحة بالمنطقة، نظرا لإشراف"بن مهيدي' نفسه في تحضير الثورة بالظهرة مع "بن عبد المالك رمضان في اجتماع ضمّ القيادات المحلية أمثال "الأخوين بورجي"و"بلحميتي بن ذهيبة" وآخرين بغار"سيدي يوسف ببلدة "أولاد بوزيان" بكساني، حيث تمّ توزيع المهام في جمع الأموال و شراء الأسلحة و التدريب عليها[16].

إضافة إلى هذا النجاح الذي أحرزت عليه الثورة في المنطقة الخامسة، كانت تعرف بهدوئها و سيطرة المعمرين على أوضاعها، وانشغال الأهالي الجزائريين في العمل عندهم، حيث

أثار انتباهنا حادث مميز في المنطقة بمقتل أحد المستوطنين على الساعة الحادية عشر و خمسة وأربعين دقيقة ، و في روايات أخرى 11سا و30 دقيقة، و يعود سبب ذلك حسب هذه الروايات،بأن ذلك المستوطن شاهد المجاهدين متجهين نحو المزرعة ، فحاول الإعلام عنهم فاضطرت المجموعة إلى قتله و متابعة إنجاز مهام إعطاب المولد الكهربائي "بوليس"(بن عبد المالك رمضان حاليا) و حرق بعض مزارع لمستوطنين و محاصيلهم الزراعية.[17]

ب –أهدافها:

كانت أهداف هذه الهجومات الأولية بالغرب الوهراني رغم قلّتها، إذا ما قورنت بمثيلتها في القطر الجزائري ، ذات بعد استراتيجي في شمولية الثورة و إعطاء المنطقة مكانة هامة ضمن عمليات الفاتح نوفمبر و إرباك العدو، ليستخلص العبر و يدرك أن عمليات عيد كل "القدسيين الأحمر" [18] مثل ما وصفه المؤرخ الفرنسي"برنارد مشال" ، ليست عمليات محصورة في منطقة واحدة ، و إنما تؤكد بأن هذا العمل الثوري ،عمل جاد و جماعي نظرا لتشابه معظم العمليات الثورية(هجومات و تفجيرات وحرائق) في توقيت واحد و في

أماكن عديدة بالعمالات الثلاث الجزائرية ، و أكدت تلك المصادر الرسمية الفرنسية بحدوث بعض العمليات الإرهابية في مناطق متعددة.[19]

و أكّد البيان الأول المنشور من قبل الوفد الخارجي بالقاهرة بتاريخ 15نوفمبر 1954م :

"بأنّ المستعمرين تفاجئوا ليلة الفاتح نوفمبر بحدوث عمليات فدائية بمختلف مناطق الوطن ما بين الواحدة والثانية صباحا ، تمثلت في ضرب الوجود الاستعماري؛ ممثلا في الدرك و الثكنات و اقتصاد المعمرين المتمثل في حرق المزارع و المحاصيل الزراعية "[20]

مقارنة بين بيانات الإدارة الاستعمارية وبيان جبهة التحرير الوطني الجزائرية ،ندرك أهمية هذه العمليات العسكرية التي حدثت بالقطاع الوهراني، استجابة لنداء أول نوفمبر الذي نشر صبيحة يوم الاثنين ، و أرسلت نسخا منه إلى الصحف و وكالات الأنباء ، و أذيع من إذاعة القاهرة.

و ترجع قصة تحرير هذا البيان إلى اجتماع القادة الستة يوم 24 أكتوبر 1954م بمنزل بقلب العاصمة "الجزائر"حي رايس حميدو "بوانت بسكاد" و تمّ تكليف "محمد العيشاوي" يوم 27 أكتوبر من نفس السنة بقرية "إغيل أمولا" في جرجرة بالقبائل الكبرى، بطباعة البيان بواسطة آلة راقنة [21]، حيث

تمّ تحديد مبادئ وأهداف العمل المسلح الذي استجاب له نخبة من شباب منطقة الغرب الجزائري ملتزمين بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم، تاركين وراءهم أهاليهم وأملاكهم في سبيل تحرير الوطن و سقي أرض الأجداد بدمائهم ، فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا. ذلك ما اقتنع به المجاهد "بلحميتي "سابق الذكر: "بأنّ الثورة اعتمدت على الشعب وفق تنظيم دقيق" كالآتي[22]:

- تحديد اليوم و ساعة التفجير .
- العمل الجماعي لتفادي أخطاء المنظمة الخاصة .
- شمولية الانطلاق لتفكيك قوّة الاستعمار .

إذن فالعمليات الأولى حسب المؤرخ 'عمر كارليي" ،كانت طموحة و جريئة ،رغم قلّة الإمكانات والرجال، إلاّ أنّ نتائجها الفعلية تبقى إلى حد ما ضعيفة ".[23] ويعود ذلك في نظرنا لجملة من الأسباب تمثلت في صعوبات الإمداد ونقص الانخراط في العمل الثوري في بداية العمل المسلح .

3- الصعوبات التي واجهت العمليات الثورية الأولى بالمنطقة الخامسة:

إنّ تتبعنا لأحداث العمليات الأولى بالمنطقة ، يتبين لنا أنّ حركة التمرد حسب التعبير الاستعماري ، استطاعت اختراق الإجراءات الأمنية الفرنسية و قوانينها الردعية المسلطة على

الجزائريين ، و التجاوب مع الوضع العام لحركة الثورة في مسارها التاريخي الذي ضبط بيوم 01 نوفمبر 1954م.

و أصيبت الجرائد الاستعمارية المحلية و الباريسية، الصادرة يوم الاثنين و اليوم الثاني منه بالهلع و الذهول لمجرى العمليات، واتساع نطاقها من خلال ما ورد في البرقيات الرسمية للحاكم العام.

و راحت تحلل الأوضاع من وجهات مختلفة ، موضحة للرأي العام، ميزان القوى بين الجيش الفرنسي و سيطرة الإدارة الاستعمارية على السكان و توجيهها لهم من جهة؛ و مجموعة قليلة من الخارجين عن القانون من جهة ثانية .

ومن هذا المنطلق:" فإنّ الثورة بالمنطقة الخامسة ، قد واجهتها عدّة صعوبات، فرغم انطلاقة الثورة الجيدة وانخراط الآلاف فيها،فإن هذا العدد لا يمثل أكثر من حفنة من الرجال إذا ما تمت مقارنتهم بعدد خصومهم،وما يتوفر لهؤلاء الخصوم من إمكانيات"[24] .

و يعود ذلك إلى طبيعة الثورة التي اعتمدت على قلة من المناضلين الأوائل بسبب الأزمة التي أصابت"حركة انتصار للحريات الديمقراطية" بمنطقة الغرب الجزائري بسبب سيطرة الطرفين المتصارعين على مكاتب الحزب ،حيث أخر ذلك في نظرنا النشاط الثوري بالمنطقة ، خاصة بعد اعتقال بعض

زعماء المنظمة الخاصة أمثال "أحمد بن بلة"و" بوشعيب" على إثر الهجوم على بريد وهران، و وجود "حمو بوتليليس" في السجن ؛ في حين خرج "زبانة " متأخرا من السجن إلاّ في سنة 1953م.

تبين لنا هذه الوقائع التاريخية قلة الرجال الممارسين للعمل الثوري في بداية الثورة ، مما أدى بقيادة الثورة المنبثقة عن اجتماع جوان 1954م إلى تبني إستراتيجية تعويض هذا النقص بتكليف قادة تاريخيين بارزين مسؤولين على المنطقة الخامسة وهم"العربي بن مهيدي" قائدا و"عبد الحفيظ بوصوف 'بتليمسان و 'بن عبد المالك رمضان "بمستغانم نائبين له .

و يعود ذلك في نظرنا إلى اكتشاف المنظمة الخاصة و تسليط العقوبات الصارمة على أعضائها من قبل الإدارة الاستعمارية، المتمثلة في سجن العديد منهم ؛ وظلّ آخرون يعملون في السرية بعدين عن أنظار الاستعلامات الفرنسية، و من جهة أخرى سيطرة الإدارة الاستعمارية على السكان الجزائريين، لتواجد بلديات كاملة الصلاحيات التي يرأسها رئيس بلدية أوربي مستغلة الجزائريين بشكل فادح،ومطبقة عليهم قوانين صارمة، رغم انتهاء العمل بقانون الأنديجانا سنة 1944م؛و بلديات مختلطة يرأسها حاكم إداري،كان يرهب السكان من خلال الجهاز الإداري والأمني التابع له من حراس البلدية و القياد

بالأرياف و جهاز أمني من شرطة ودرك في البلدات.و جهاز استعلاماتي قوي ، حيث كان لممثل الإدارة الاستعمارية أعين لها في كل مكان[25] .

و واجهت الثورة أيضا بالمنطقة صعوبات لوجيستيكية ،منها نقص الإمداد بالأسلحة، وذلك بسبب المراقبة الصارمة للحدود الشرقية و الغربية؛بعد اكتشاف أعضاء من المنظمة الخاصة، و تلكؤ الإخوة المغاربة في إمداد بوصوف و العربي بن مهيدي بالأسلحة التي وعدوا بها ، أدى ذلك بالوحدات الثورية في المنطقة إلى الاعتماد على النفس ، حيث تمّ تكليف زبانة الخارج من السجن إلى صنع القنابل التقليدية[26] . واعتمدت مجموعات الظهرة بمستغانم [27]على صناعة البارود وتحضير القنابل بواسطة أنابيب الماء، وجمع بعض الأسلحة عن طريق الشراء مثل بنادق موزار و بنادق صيد إيطالية الصنع وبعض المسدسات.

يدل ذلك في نظرنا على صعوبة التمويل بالأسلحة ، و التقليل من حظوظ نجاح العمليات المبرمجة، يضاف إلى ذلك انفتاح المنطقة جغرافيا ، رغم تواجد بعض الغابات و الجبال و الأودية التي كانت درعا واقيا لمجاهدي المنطقة، و لكن تواجد أراض زراعية واسعة و ثروات منجمية متنوعة ، سمح بتوظيف يد عاملة جزائرية وتحسين بعض الأوضاع الاقتصادية

و الاجتماعية ، مما أدى إلى صعوبة اختراق القيادات الثورية الأولى للجزائريين المنشغلين بشؤون حياتهم ، أو هؤلاء المنغمسون في العمل السياسي العقيم .

ورغم صعوبة هذه الظروف، فإن منطقة وهران قد شهدت أعمالا ثورية ذات قيمة معنوية ونفسية بالنسبة لعموم مناطق الوطن،و أذهلت القيادة الإدارية الحاكمة في الجزائر من حاكم عام و والي الولاية و نوابه بدوائر العمالة ، حيث قام رئيس جهازها التنفيذي المتمثل في الحاكم العام إلى إعطاء تعليمات صارمة لمنع تعاظم الثورة وطمأنة السكان الجزائريين والتقرب منهم محاولا بذلك عزل الثورة عن العمق الشعبي[28] و يدل هذا الاهتمام الحكومي في إصراره على قمع حركة التمرد بالقطاع الوهراني ردا على بعض الدراسات و التقارير التي تحدثت عن تأخر العمليات الثورية بمنطقة وهران[29].

و نشرت هذه الإشاعات أجهزة الاستعلامات الفرنسية ، للتقليل من شمولية الثورة و اعتبارها مجرد أعمال إرهابية متفرقة، قامت بها مجموعات خارجة عن القانون ، و لكن رد الفعل الفرنسي اتجاه الجزائريين بالمنطقة ،من خلال بيانات الإدارة الاستعمارية وأرشيف المجاهدين الأحياء يثبت لنا عكس ذلك .

4- رد الفعل الفرنسي على العمليات الثورية الأولى بالعمالة:

لقد كانت العمليات الثورية الأولى زهيدة بالمنطقة الخامسة" وهران''، حسب العديد من الدراسات لعوامل عديدة سبق التطرق لبعضها، و لكن قوة رد الفعل الفرنسي على العمليات الأولى برهن لنا على انتشار لهيب الثورة بشكل مباشر، وإلحاق خسائر بشرية ومادية في صفوف القوات الاستعمارية ،دفع ذلك أجهزة الاستعلامات الاستعمارية إلى شن حملة مداهمة لمعظم العناصر المنتمية لحركة الانتصار و اعتقالهم .

وفي مرحلة لاحقة ، تمكنت هذه الأجهزة من إبطال مفعول انفجار القنابل بالعديد من مناطق المنطقة الخامسة ، و تمّ القبض على معظم المنفذين للعمليات الأولى ، ففي ناحية الظهرة استشهد "ابن عبد المالك رمضان " يوم 04 نوفمبر 1954م، و قبض على المجاهدين الآخرين و سجنوا في العديد من سجون مستغانم و وهران و البرواقية ،حيث التقى هؤلاء المجاهدون بزملاء لهم من مناطق أخرى ، ذلك ما ذكره أحد الجاهدين "بلحميتي بأنه التقى بـ "رابح بيطاط" و تعرّف عليه [30] ،وفي نفس الوقت ذكر المرحوم المجاهد (بومهدي زروقي) أحد الأعضاء القياديين في الهجوم على مراكز الاستعمار ليلة الفاتح نوفمبر في ندوة تاريخية، بأن جهاز الاستعلامات الفرنسي عند

استنطاقه له و لزملائه لم يتعرف على هوية المجموعات المنفذة ،و اعتقد أنها تنتمي إلى حركة الانتصار و أضاف المجاهد قائلا "بأنني حمدت الله على ذلك "و هو يسمع هذا الحديث من أحد المحققين من زنزانته[31] .

أما بوهران و ضواحيها فلم تتم العمليات بسبب أخطاء تقنية و اكتشاف العدو لها مبكرا ، وتريث المجموعات المكلفة بالمهام المسندة لها بسبب ذلك . في حين تم القبض على البطل أحمد زبانة في اشتباك مع الجيش الفرنسي يوم 08 نوفمبر 1954م و تم إعدامه بواسطة المقصلة في سنة 1956م وتمكن بن مهيدي من الإفلات من الجيش الفرنسي و اتجه مع بوصوف إلى الحدود الغربية لإعادة تنظيم الثورة من جديد [32].

و تم متابعة السكان القريبين من مزارع المعمرين بعين تموشنت و القبض على معظم المجاهدين، و استخدمت أجهزة الأمن الفرنسية للوهلة الأولى ، تقنيات التعذيب ضد المقبوض عليهم محاولة منها انتزاع الاعترافات منهم؛ بهدف التعرف على الرؤوس المدبرة وتمّ تحويلهم إلى سجون انفرادية.

و من هذا المنطلق قامت هذه الأجهزة الأمنية بحملة قمع واسعة النطاق، في حق المناضلين و المشتبه فيهم بما فيهم أنصار الزعيم مصالي الحاج ،وذلك تطبيقا لتعليمات و تصريحات المسؤولين الفرنسيين الذين ذكروا بأن هؤلاء المجاهدين ، إنما

هم عناصر متمردة لا تخضع للقانون العسكري الدولي ،ذلك ما صرح به " فرنسوا ميتران" و زير الداخلية الفرنسي بعد عشرة أيام من عيد القدسيين سنة 1954م قائلا:" ينبغي معاملة المتمردين كجانحين و مجرمي القانون العام"[33]، و مما يؤكد سياسة القمع الفرنسية التقارير الواردة من السجون الممتلئة بالجزائريين ، رغم قلة العدد المهاجم في الفاتح نوفمبر إضافة إلى التجاوزات المرتكبة من قبل الأجهزة المختصة في اعتقال الجزائريين و قيام المستوطنين بأعمال انتقامية في حق السكان العزل [34].

الهوامش

1- Bernard(M), Histoire du Drame Algérien, T1, 1954- 1956, ed Gremille, Genève, 1971, p 75.

2-Amiri (L), La Bataille de France, La Guerre D'Algérie En France, Chihab Edition, Alger, 2005, p 34.

3- العماد طلاس مصطفى و المقدم العسلي بسام ، الثورة الجزائرية ، دار الشورى بيروت ، ط1، 1982، ص 75

4 - Carlier (O),<Le 1er Novembre1954 a Oran , Action Symbolique , Histoire Périphérique et Marqueur, Histographyque > in « la Guerre d'Algérie, 1954-1962 Présente Par Ageron (Ch A), ed, Armand Colin, C .R.N.S, Paris,1996 ,pp.8 -9 .

5- Bernard (M), op cit, pp 76-77 Benkhada Benyoucef,Les Origines du 1ER Novembre 1954,Ed Dahleb,1989, pp 242 -254

6 - أيضا و انظر بلحميتي بن ذهيبة، مجاهد من منطقة سيدي علي ولاية مستغانم، كان عضوا بارزا في حركة الانتصار و المنظمة الخاصة بالمنطقة، رفيق بن عبد المالك رمضان ، و كان من مفجري الثورة بالمنطقة، أنظر الحوار الذي أجرته معه مجلة الظهرة لولاية مستغانم ،نشرية شهرية ، نوفمبر 2003، ص ص 10- 11

7- Archives de La Wilaya de Mostaganem, boite N°05, <<Discours Edward Naegelan En Algérie >> 1948

8- بيان أول نوفمبر 1954، جبهة التحرير الوطني الأمانة العامة.

9- Carlier (O), op cit , p12

10- بلحميتي بن ذهيبة، مرجع سابق ص ص، 10- 11.

11- Echo D'Oran, 02 /1101954

12- بلحميتي بن ذهيبة، مصدر سابق ص ص10- 11

13 - Carlier (O), op cit,p p 12 -13

14- ibid , p 1314 et , Quotidien(L) Oran, 1er Novembre 2008.et Réflexion, Journal Mosteganemoi, 17 Novembre ,2008

و ورد ذلك أيضا في الحصة الإذاعية لمحطة مستغانم يوم أول نوفمبر 2006 بمشاركة المجاهدين بلحميتي و كويني

15- Bernard (M), op cit,p 102

16 – بلحميتي بن ذهيبة ، مصدر سابق، ص 11

17-Quotidien(L) Oran, 1er Novembre 2008

18- Bernard(M), op cit ,p 79 Miloudi(M), « 1er Novembre, Fin D'Une Epoque Et Aube D'Une Nouvelle Ere », In Revue El Djeich,-

19- Numéro Spécial, Novembre 1989p p, 23-27 - Ibid pp, 23 – 27

20- Bernard(M), op cit, p93, et aussi, Quotidien (L) Oran

21 -le 01/11/2008

22- بلحميتي بن ذهيبة في مجلة الظهرة ، مصدر سابق صص 10 .11

23-Carlier (O), op citp 13

24- لعماد طلاس مصطفى و المقدم العسلي بسام العسلي ، مرجع سابق،ص 86.

25-Historia Magazine « L'A.L.N, Armée De Libération Nationale, une Rébellion - Souscrira »,N°201,10Novembre,1971p 226-234

26-Carlier (O), op cit ,p 13

27- بلحميتي بن ذهيبة في مجلة الظهرة ، مرجع سابق صص 10- 11

28- Bernard (M), op cit,p p , 105-106

29– طلاس، العسلي،مرجع سابق، ص 228.

30- بلحميتي بن ذهيبة في مجلة الظهرة ، مصدر سابق صص 10- 11

31- ندوة تاريخية تمّ تنظيمها في ثانوية "دار عبيد عبد الحميد "بسيدي علي ولاية مستغانتم ، في 31 أكتوبر 1994م، و حضرها جمع من المجاهدين و السلطات المحلية أمام تلامذة هذه الثانوية للتذكير بأبطال أول نوفمبر

32-Carlier (O), op cit, P14

33- Thenaut (S), « La Justice dans la Guerre D'Algérie >>In la Guerre D'Algérie, 1954 1962 Dirigée Par Ageron

(Ch ; A) ,- ed, Armand Colin, C .R.N.S, Paris, 1996 p 78

34- Thenaut (S),ibid, p 79

35- بلحميتي بن ذهيبة في مجلة الظهرة ، مرجع سابق ص 10- 11.